المثاقفة الحداثيّة والسيادة اللّغوية باللّغة العربيّة دراسة مفهوميّة.

عز الدين لعناني *
مركز البحث العلمي والتقنّي لتطوير اللّغة العربيّة.
lananilanani69@gmail.com

الإرسال: 2026/06/04 القبول: 2026/09/05 النشر: 2026/09/15.

الملخص:

إنّ المثاقفة في أصلها هي صيغة فطرية وطبيعيّة تكشف الروابط الإنسانيّة في كل المجالات وترتّب الاختلافات ، فهي تواصل إنساني طبيعي. أمّا إذا أخذناها من ناحيّة ثقافيّة فهي إقامة معاملة تواصلية بين الإنتاجات العلميّة والثقافيّة للإنسانيّة ، أو ترتيب التفاهم بين المعاملات العلميّة والثقافيّة. وإنّ الواصف المحلّل لحالة المثاقفة باللّغة العربيّة يدرك أزمة الأصالة في تجديد بحوث اللّغة العربيّة ؛ إذ تتمثّل أزمة المثاقفة في أزمة التأسيس لتأصيل المفهوم وتجديد بحوث اللّغة العربيّة بطريقة أصيلة وذلك لاكتساب شرعية الوجود كأيّ مشروع فكري. وإذا كان تشخيص أزمة المثاقفة باللّغة العربيّة يتمثّل في الأصالة ، فإنّ أسبابها ترجع إلى مشروع الحداثة ؛ فمنذ أن ارتبط تجديد بحوث اللّغة العربيّة بالحداثة الغربيّة ، نجده قد تتالت عليه الاستشكالات فيما يخص أصالة بحوث اللّغة العربيّة. وعليه فإنّ أيّ معاملة تثاقفية أصيلة باللّغة العربية هي تمثيل للسيادة اللّغوية العربيّة ؛ فالسيادة اللّغوية العربيّة بذلك هي الشرط والإطار الحضاري لمعاملات التثاقف الخاصة بالأمّة العربيّة. وإزاء هذه الإشكاليّة ؛فالبحث يهدف لتحديد مفهوم المثاقفة والسيّادة اللّغوية باللّغة العربية وربطهما ببعضهما البعض ووضعهما في السيّاق الاستراتيجي المفهومي للغة الأمّة العربيّة. ومن حيث

*المؤلف المرسل: عزالدين لعناني

النتيجة فقد توصلنا لتحديد مفهوم المثاقفة والسيادة اللّغوية باللّغة العربيّة ، ولشروط تأصيل مفهوم المثاقفة السيادية باللّغة العربيّة ،ولأنواع المثاقفة السيادية.

الكلمات المفاتيح:لمثاقفة ، المثاقفة الحداثيّة ، المثاقفة المقاومة ، السيادة اللّغوية ، اللّغة العربيّة.

Modernist Acculturation and Linguistic Sovereignty in the Arabic Language: A Conceptual Study

Abstract: Acculturation, in its origin, is an innate and natural form that reveals human connections across all fields and regulates differences; thus, it is a natural human communication. Culturally speaking, it involves establishing communicative transactions among the scientific and cultural productions of humanity, or organizing mutual understanding between scientific and cultural interactions. An analyst examining the state of acculturation in the Arabic language recognizes the crisis of authenticity in renewing Arabic language research. This acculturation crisis lies in the challenge of establishing the grounding for the authentic formulation of the concept and the renewal of Arabic language research in an authentic manner, thereby acquiring the legitimacy of existence like any intellectual project. While the diagnosis of the acculturation crisis in Arabic centers on authenticity, its causes trace back to the project of modernity; ever since the renewal of Arabic language research became linked to Western modernity, it has faced consecutive problematics regarding the authenticity of Arabic language studies. Consequently, any authentic acculturative transaction in

Arabic represents Arab linguistic sovereignty, which serves as the civilizational condition and framework for the acculturation transactions of the Arab nation. In response to this problem, this research aims to define the concepts of acculturation and linguistic sovereignty in the Arabic language, link them together, and place them within the conceptual and strategic context of the Arab nation's mother tongue. In conclusion, the study has succeeded in defining the concepts of acculturation and linguistic sovereignty in Arabic, outlining the conditions for grounding the concept of sovereign acculturation in the Arabic language, and identifying the types of sovereign acculturation.

Key words: Acculturation, Modernist Acculturation, Resistant Acculturation, Linguistic Sovereignty, Arabic Language.

1- مقدّمة:

إنّ اللّغة يصيبها العجز مالم يصبها التحديث والتثاقف. فالانتشاء بملكية اللغة السيادية هو تحديث تثاقفيّ دوريّ لوظيفتها العلميّة والثقافيّة والتقنيّة والتواصليّة والحضاريّة ... فهي ذلك الملك الجمعي الذي يخضع للتثاقف المستمر. فاللّغة بمفهوم المثاقفة هي ذلك الإنتاج العلمي والثقافي والتقنّي والحضاري... الذي ينتجه الفرد والمجتمع للترجمة والتواصل والتبادل والتثاقف. فالمثاقفة في أصلها هي صيغة فطرية وطبيعيّة تكشف الروابط الإنسانيّة في كل المجالات وترتّب الاختلافات ، فهي تواصل إنساني طبيعي. أما إذا أخذناها من ناحيّة ثقافيّة فهي إقامة معاملة تواصلية بين الإنتاجات العلمية والثقافيّة للإنسانيّة ، أو ترتيب التفاهم بين المعاملات العلميّة والثقافيّة. وتعد اللّغة العربيّة في هذا السيّاق من اللّغات المثاقفة ، فلطالما سعى رواد اللّغة العربيّة إلى ترتيب التواصل وإقامة المعاملة العلميّة والثقافيّة والتقنيّة والحضارية مع مختلف اللّغات والثقافات. وذلك لتجديد وتطوير بحوثها. وفي ذات السيّاق ومن حيث الأهميّة تعد كل عملية تثاقفية باللّغة العربيّة ناجحة إذا تمّ ترتيبها وفق عنصر السيادة اللّغوية للأمة العربيّة ، فالسيادة اللّغوية هي الإطار والشرط الحضاري لمعاملة المثاقفة باللّغة العربية. وإزاء ذلك ؛ ماهو مفهوم المثاقفة والسيادة اللغوية

باللّغة العربيّة ؟ وما شروط تأصيل مفهوم المثاقفة باللّغة العربيّة ؟ وما أنواع المثاقفة ؟ وعليه ؛ سيكون هدفنابحث أسئلة المثاقفة الحداثيّة والسيادة اللّغوية باللّغة العربيّة باقتراح وصياغة مفاهيم للمثاقفة باللّغة العربيّة في إطار السيادة اللّغوية. ومنه فإنّ وصف وتحليل وتصوّر المثاقفة السيادية باللّغة العربيّة بطريقة تحليليّة يتطلب منا ضبط البنيّة المفهومية للمثاقفة ، بتقديم واقتراح مفاهيم تعبّر عن نظام لغوي سيادي للمثاقفة باللّغة العربيّة.

2- مفهوم المثاقفة والسيادة اللّغوية باللّغة العربيّة:

تعد فكرة الهيمنة من الأفكار التي رافقت الإنسان منذ القديم ، فالإنسان منذ القديم وبصفة طبيعيّة يسعى للهيمنة من أجل فرض أفكاره ونسقه. وقد تجسد هذا بشكل جليّ في المنظومة الحداثية للأمم المتقدمة المهيمنة. فهي منظومة تسعى لبسط أفكارها وإبداعها وإنتاجها على الآخرين. وذلك بجذبهم للانخراط في مشروعها العام وإثارة المعاملة معهم بتسويق الفكرة الحداثية. وذلك من خلال الأنساق الثقافيّة والاقتصاديّة والنّظريات العلميّة والفنيّة والتكنولوجيّة والأسّس الحضارية بصفة عامة ،...وتعدّ اللّغة بما هي أساس هوياتي الوسيلة الأولى التي تمرّ عبرها عمليّات الهيمنة. فسعت الدّول المتقدّمة المهيمنة إلى تطوير لغاتها وجعلها حاضرة دائما في كل المعاملات ، فاللّغة نظام رمزي يعبّر عن الإنتاجات العلميّة والثقافية والتكنولوجية والحضارية بصفة عامة ، فهي الوسيلة الأولى للهيمنة وكسب الانخراط ، وقد تصدرت الإنجليزية والفرنسية والألمانية ... مشهد الهيمنة العالميّة وانتشى أهل هاته اللّغات بملكيّة لغاتهم ملكية سيادية تامة ، وذلك بفعل تحكمهم في العلم والثقافة ، فلقد مثلت هاته اللّغات مجتمعاتها تمثيلا سياديا واستراتيجيا بالإنتاج العلمي والثقافي على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

وبإلقاء لفتة تاريخيّة نجد بأنّ هاته اللّغات (الإنجليزية والفرنسية خصوصا) توسّعت هيمنتها سواء بالوسائل القسرية أو الثقافية ، فكان الاستعمار الوسيلة القسرية لتنفيذ مخطط الهيمنة اللّغوية وضرب الأساس الهوياتي للأمم المتأخرة عن سباق الهيمنة ، فخلّف هذا الواقع معاناة عسيرة لأن الأمر أصاب الهوية بما هي علامة وقضية وجودية. وترتبت الخسائر إزاء هذا الأمر ؛ فخسرت الشعوب المستعمرة هويتها ووطنها وأملاكها ، وبعبارة مختصرة سلبت منها الملكيّة السيادية ، وقد استمر السلب والتجريد بعد هذا المخطط الاستعماري إلى سلب وتجريد ثقافي ، فراحت تلك المجتمعات بعدما استقر الضعف والعجز التاريخي في المجتمعات المستعمرة إلى رميها بمخططات استعمارية ثقافية منظمة ناتجة عن عولمة ثقافية

تسير بثبات في المشهد التاريخي المعاصر، والضعيف بحكم ضعفه ينخرط لا محالة، خصوصا أمام الهالة الحداثيّة الرهيبة الإنتاج والتي شكّلت عمليّة هيمنة ثقافيّة وحضارية بالمعنى العميق ... فلا دور للضعيف فيها. فسعى الجميع للانخراط في اللّغات القوية لعيش الحاضر.

نستطيع القول بأنّ الاستقلال في أصله هو التحرّر والانفراد بتدبير الأمر، إذ هو: "تحرّر البلاد من الغاصب وانفرادها بتدبير شؤونها الداخليّة والخارجيّة"[1]. فالاستقلال كما تواضع عليه المجتمع اللّغوي؛ هو ذلك الانفراد والتحرّر في تدبير الأمور وتسيّير الشؤون مهما كان نوعها، فلا تعني هذه الكلمة تحقيق الاستقلال العسكري كما هو شائع، فكلمة الاستقلال من حيث هي شعلة معجميّة أو مصطلحيّة يمكن القول عنها بأنّها أثر نفسي يشمل التحرّر والانفراد بتسيير الشؤون وتدبيرها والحضور دائما على خط المنافسة والعمل. وبالنسبة للّغة فالاستقلال اللّغوي يشمل التحرّر والانفراد بتسيّير شؤون اللّغة وتدبيرها فلا نفوذ وهيمنة للغة أمة على لغة أمة أخرى، فاللّغة يجب ألاّ تكون أسيرة معطيات سباق الهيمنة؛ كمعطيات التاريخ الاستعماري ومعطيات العولمة ومعطيات فجوة التراث والحداثة (هالة تقديس التراث والخوف من الانخراط في الحداثة).

إنّ ممارسة السلطة اللّغوية تعني التحرّر والانفراد بصناعة الواقع اللّغوي والسيطرة عليه، ولا يعني ممارسة السلطة اللّغوية تلك الطريقة التقليدية التّي تكون فيها المؤسّسات اللّغوية غير مراهنة للواقع، وتكون في وضعية غير تنافسيّة سواء محليّا أو إقليميّا أو دوليّا، وعليه فإنّ الاستقلال اللّغوي هو تعبير في العموم عن أسّس السيادة اللّغوية التّي تشمل العظمة والشرف والمنافسة في المجتمع اللّغوي المحلي والدولي، وذلك بما هي انزياح اصطلاحي عن المعنى اللّغوي للسيادة التي هي في أصلها تعني: الزّعامة والشّرف[2].والحال هذه، فإنّ السيادة اللّغوية من الناحية النظرية هي طاقة جمعيّة لغوية مستمرة بين أجيال الأمة لصناعة الزعامة والشرف والاستقلال اللّغوي للأمة وفق ثوابتها. وإذا أردناها من ناحية وظيفيّة فهي سلطة لممارسة الاستقلال اللّغوي للأمة وحمايته وإكماله بالتصحيح العملي. إنّ هذا المفهوم الخاص للسيادة اللّغوية يصب في المفهوم العام للسيادة عند ديتر غريم من الناحية المجردة المثالية ومن الناحية الوظيفيّة، يقول من الناحية المجردة المثالية: "في حين كانت سيادة الأمة سيادة مجرّدة، تحيل على فاعل جمعي عابر للزمن يتكوّن من الأجيال الحاليّة والماضيّة وهي سيادة ذات نزعة مثاليّة وتمثيليّة"[3]، أمّا من الناحية الوظيفيّة

فيقول: "إنّ أهم وظيفة للسيادة تكمن اليوم في حماية استقلاليّة القرار الديمقراطي لمجتمع متحدّ سياسيا حيال النظام الذي يناسبه"[4]. فيجب أن تتجلّى السيادة اللّغوية بطريقة وظيفيّة. فتظهر جاهزية المنافسة اللّغوية للأمّة في المجتمع اللّغوي المحلي والإقليمي والدولي ، وذلك بصناعة الواقع اللّغوي والسيطرة عليه ، فتتجلى الطاقة اللّغوية السيادية على شكل تمثيل رمزي يخصّ لغة الأمّة ، يتمثل في الإنتاجات العلميّة والثّقافيّة والتقنيّة والحضارية عموما. وهذا الأمر يمثّل في حقيقته الواقع الاستراتيجي للغة الأمّة ونفوذها وتنميتها. وعليه فإنّ عجزا يمسّ هذا الأساس هو خلل استراتيجي ومؤشر ضعف يمسّ السيادة اللّغوية للأمة.

إنّ الوطن بما هو في أصله المكان الدائم لإقامتنا الماديّة والعلميّة والثقافيّة والقيميّة والحضاريّة والحيّز الجغرافي الذي نستثمر فيه حياتنا بطريقة سياديّة سليمة وتامّة ، لابدّ أن يستمدّ شرعيته من اندماج الجميع ومشاركتهم في فعل التنميّة ، والتّي على رأسها التّنميّة اللّغوية التنافسيّة المحليّة والإقليميّة والدوليّة ، أمّا أن يبقى الوطن رقعة جغرافيّة تشغلها مجموعة من الأفراد دون استثمار للحياة بالمعنى الصحيح فهذا ليس وطنا ، وعليه فإنّ الوطن اللّغوي هو بيت وجود الأمة ، بما هو اللّغة العلميّة والثّقافيّة والقيميّة والحضاريّة التي نسكنها.

إنّ بناء عمليّة سياديّة لغويّة هي غاية حقوقيّة وثقافيّة وحضاريّة واجبة ، فلابدّ لأي لغة أن تنال حقّها الوطني الطبيعي في السلطة والنفوذ والاستقلال والأمن والتنمية ... وإذا كانت الشعوب كافحت من أجل التّحرّر وهذا هو هدف الكفاح ومنطقه. فينبغي لهذا التّحرّر أن يتحقق بطريقة تامّة وشاملة لا جزئيّة ومهدّدة. فتحقيق التحرّر والاستقلال الجزئي هو ضرب من التّهديد وعدم الأهليّة والسلامة ، إنّ المتحرّر الحقيقي هو الذي يسعى من جراء جهاده أن يمتلك الوطن الذي يشمل الهوية والمعرفة والسلطة والنفوذ والاستقلال والأمن والتنميّة والعلم والثقافة والحضارة بصفة عامة. وهذا يعني امتلاك السيادة الشاملة للأمة ، فالاستقلال هو عملية سيادية شاملة هدفها تدبير شؤون الأمة باستقلاليّة تامّة. ومنه تدبير وإعلاء شأن لغة الأمّة بتحقيق الاستقلال اللّغوي.

إنّ الأمة العربيّة التّي حقّقت استقلالها في فترات متقاربة وبعد نصف قرن على الأقل من ذلك. ينبغي لها حماية وترتيب الملكيّة السياديّة ؛ فلابدّ لها أن تسيّر شؤون الأمّة باستقلال تام ، وذلك بالتّحكم في الوطنيّة والاستقلال والقرار والأمن والسلطة والنفوذ والتّنميّة والمنافسة والمشاركة الجماعيّة والاتحاد السياسي والنظام الاختياري والثوابت

القيميّة والتّقارب بين السلطة والشعب والروح الوطنيّة الجماعيّة والفردية والبناء المؤسّساتي وغيرها من تجليات السيادة. وبالضبط بلغة الأمّة العربيّة فلا أمن ولا استقلال ولا تنميّة ولا سلطة ولا وطنية ولا نفوذ ... إلاّ بلغة الأمّة العربيّة ، فإذا كان هناك علم وثقافة وحضارة تعبّر عن أمّة معيّنة فيعني هناك بالحتم لغة أمّة تعبّر عن نسقها ؛ أي هناك لغة تعبّر عن تماسك الأمّة وانسجامها وإبداعها وأحداثها وإنتاجها وتاريخها ... وإلاّ فاستقلالها وسلطتها ونفوذها وأمنها وتنميّتها وسيادتها عموما معدومة ، فكلّ أمّة تمارس حياتها بلغة الآخرين هي أمة مستعمرة ورصيد لتلك الأمّة وتلك اللّغة.

وعليه فإنّ أي عمل تثاقفي - من النّاحيّة المنطقيّة - كي يكون أصيلا ينبغي أن يرتبط بمفهوم السيادة اللّغويّة ، فالسيادة اللّغوية هي الشرط الثابت لفعل المثاقفة الحضاريّة السليمة والموزونة ، وعليه نقترح المفاهيم الاستراتيجية الآتيّة لضبط البعد المفهومي للمثاقفة باللّغة العربيّة والتي تشمل مفهوم المثاقفة:

- **مفهوم المثاقفة العام:** المثاقفة في أصلها هي تواصل إنساني طبيعي ، فهي صيغة فطريّة وطبيعيّة تكشف الروابط الإنسانيّة في كلّ المجالات. أما إذا أخذناها من ناحيّة ثقافيّة فهي إقامة معاملة تواصليّة بين الإنتاجات العلميّة والثقافيّة للإنسانيّة ، أو ترتيب التفاهم بين المعاملات العلميّة والثقافيّة.
- **مفهوم اللّغة المثاقفة:** اللّغة بمفهوم المثاقفة هي ذلك الإنتاج العلمي والثقافي والتقنّي والحضاري عامة... الذي ينتجه الفرد والمجتمع للتّرجمة والتّواصل والتّبادل والتّثاقف.
- **المثاقفة بمفهوم التّرجمة**:معاملة لغويّة تواصليّة ضخمة لغرض علمي وثقافي وحضاري تتمّ بين الأمم لتجسير التّواصل العلمي والثقافي والحضاري وتحقيق التّفاعل والتّعاون وإبراز التّنوع بين المجموعات البشرية.
- **المثاقفة بمفهوم الحداثة:** تحديث مستمر لموازنة الإنتاجات العلميّة والثقافيّة والحضاريّة هدفها ترتيب التواصل والتفاعل والتبادل والاختلاف بين الإنتاجات العلميّة والثقافيّة والحضاريّة للأمم والجماعات البشرية المختلفة عبر الأزمنة.
- **المثاقفة بمفهوم التراث والحداثة**:معاملة علميّة وثقافيّة وحضارية لإكمال وتنقيح الإنتاجات التراثيّة بإنتاجات حداثيّة من شأنها إحياء التراث وتطويره والاستفادة منه.

- **المثاقفة بمفهوم الأصالة:** معاملة إبداعيّة علميّة وثقافيّة وحضارية...خاصّة بلغة معيّنة أو مجتمع معيّن أو فرد معيّن.
- **المثاقفة بمفهوم السيادة:** قرار اختياري طوعيّ أساسه التّوافق مع مبادئ وثوابت وقيّم الأمّة لإجراء معاملة علميّة وثقافيّة وحضاريّة ؛ وذلك بعد عمليّات التّقييم العلميّة والثقافيّة والاستراتيجيّة للأمّة.
- **مفهوم المثاقفة السياديّة باللّغة العربيّة أو مثاقفة الأمّة العربيّة:** هي إقامة معاملات علميّة وثقافيّة وحضارية واستراتيجية شاملة باللّغة العربيّة شرطها الأصالة لغرض التّنميّة الشاملة مع المحافظة على القيم العربيّة الإسلاميّة والثوابت السياديّة للأمّة العربيّة.
- **المثاقفة بمعنى المقاومة باللّغة العربيّة:** عمليّة حضاريّة استراتيجيّة خاصّة باللّغة العربيّة لمقاومة الهيمنة الحداثيّة علميّا وثقافيّا وحضاريّا وذلك لغرض تحقيق النديّة في الاستقلال العلمي والثقافي والحضاري بلغة الأمّة العربيّة.

3- المثاقفة الحداثيّة المقاومة باللّغة العربيّة أو سؤال الحداثة والمثاقفة المقاومة باللّغة العربيّة:

إنّ المتأمّل للواقع العلمي والثقافي للّغة العربيّة في الوقت المعاصر يجد اللّغة العربيّة من اللّغات المقاومة، فمنذ فترتها الحضاريّة الذهبيّة القديمة ظلّت اللّغة العربيّة تقاوم التّطوّرات الحضاريّة والعجز التّاريخي الذي أصابها، ويعدّ فعل المثاقفة المقاومة باللّغة العربيّة من التّرتيبات التّي تجسّد هيبة اللّغة العربيّة وصمود سيادتها وحمايتها من الانهيار، إنّ العربيّة اليوم بحاجة للمثاقفة المقاومة لتلبيّة الطموحات وحاجات المستقبل المتمثلة في الاستقلال العلمي والثقافي والحضاري التّام باللّغة العربيّة.

لقد ظهرت في هذا السيّاق إجراءات حداثيّة مجمعيّة لاحتواء سباق الهيمنة ولامتصاص الفجوة الحداثية باللّغة العربيّة، يقول علي القاسمي راصدا التّصرف المجمعي إزاء ثورة المصطلحات العلميّة والتّقنيّة والحضاريّة: "وصاحب الثورة الصناعيّة سيل من المصطلحات الحضارية والعلميّة والتّقنيّة، ونمو كميّ وكيفيّ في حقول المعرفة الإنسانيّة. فاضطلعت المجامع اللّغويّة العلميّة العربيّة بالتّصدي لنقل تلك المصطلحات، التّي توصف بأنّها مفاتيح العلوم، إلى اللّغة العربيّة لتمكين الأمة من استيعاب المعارف العلميّة والتّقنيّة الجديدة،

وتمثّلها ، وإعادة إنتاجها ، والإبداع فيها"[5]. إنّ هذا السيّاق يوجب ضرورة تقديم قراءة استطلاعيّة للوقائع العلميّة والثقافيّة والتّقنيّة والحضاريّة للمنظومة الحداثيّة وذلك للتموقع في الحقبة الحضارية الحداثيّة ، فلابدّ من قراءة سياق عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال ودراسة معالمه العلميّة والتّقنيّة والثقافيّة والحضاريّة ، وذلك للتّمكن من إقامة معاملة تثاقفيّة حداثيّة مقاومة باللّغة العربيّة ، يقول علي القاسمي مضيفا: "وإذا كانت مرحلة الثورة الصناعيّة قد تطلبت منا نقل المصطلحات الأجنبيّة إلى العربيّة لاستيعاب مفاهيمها ، فإنّ ثورة المعلومات والاتّصال تستلزم منّا نقل البرامج الحاسوبيّة إلى اللّغة العربيّة لغنم معطياتها ، ومن ثمّ إثراء مخزون اللّغة العربيّة المتجدّد وتنميّته. ويشرفنّي أن أقترح من هذا المنبر المتميّز ، أن يبادر مجمع اللّغة العربيّة إلى إنشاء لجان خاصّة بنقل البرامج الحاسوبيّة إلى العربيّة ، أسوة بلجان نقل المصطلحات العلميّة والتّقنيّة إلى العربيّة ، وستضمّ كلّ لجنة من هذه اللّجان الجديدة اختصاصات متعدّدة طبقا لشموليّة المعرفة التّي تتطلبها تكنولوجيا المعلومات والاتّصال والتّي تفرضها طبيعة البرامج الحاسوبيّة"[6] . وفي هذا الصدد ، فإنّ إجراءات تثاقفيّة علميّة وثقافيّة وتقنيّة وحضاريّة ذات سياق حداثي باللّغة العربيّة يجب أن تتمّ بصفة مؤسّساتيّة ، أي عن طريق التّنسيق المؤسّساتي ، فلا يمكن للأيدي الفردية العزلاء أن تقيم معاملة تثاقفيّة أساسها الشمول ، كما لا يمكن لمؤسّسات منفردة ومعزولة القيام بهذا الواجب الحضاري الضّخم ، يقول علي القاسمي في هذا الصدّد مبرزا دور المؤسّسة المجمعيّة في العمليّة التثاقفيّة: "كما أقترح أن يستعمل المجمع الموقر مكانته الأدبيّة المرموقة ، لتشجيع المؤسّسات العربيّة المتنوّعة على ابتكار برامج حاسوبيّة عربيّة تستجيب للحاجات الوطنيّة"[7]. ويلفت القاسمي الانتباه إلى ضرورة معالجة الخطأ في طريقة التعامل مع الحاسوبيّات باللّغة العربيّة فيقول: "نحن لا نوطن البرامج الحاسوبيّة اللاّزمة لمعالجة لغتنا ، ولا ننتجها مباشرة. ولهذا نجد أنّ هذه الدّعوة تتكرّر من قبل المختصّين"[8]. وهو في هذا يشرح الخطر والخطأ العلمي والثقافي والحضاري لهاته المعاملة التثاقفيّة.

إنّ أية عمليّة توطين تثاقفي سليمة ذات أصالة وإبداع ومساهمة هي استثمار علمي وثقافي وتقني وحضاري يعود على الأمّة العربيّة بالفائدة الحضاريّة العامّة شريطة أن تكون تلك العمليّة التثاقفيّة بلغة الأمّة العربيّة ، فتكون عمليّة التوطين هاته رصيدا إضافيا للّغة العربيّة: "يعتبر توطين البرامج الحاسوبيّة نشاطا اقتصاديا وثقافيا مهمّا ، والتّوطين هو عمليّة إنتاج نسخة من برنامج حاسوبي ما في لغة مختلفة عن اللّغة التّي طوّر ذلك البرنامج فيها

(مثلا: توطين برنامج وورد/ **Microsoft Word** للكتابة في اللّغة العربيّة ؛ توطين هاتف ذكي مثل آيفون أو سمسونج في العربيّة ، إلخ). ويبدو جليّا للباحثين أنّ التّحديّات التّقنيّة التّي تواكب عمليّة توطين البرامج الحاسوبيّة لا تحظى باهتمام اللّغويّين الذين يتركونها لتقدير الموطّنين والخبراء الميدانيّين الذين يعتبرون المسائل الميدانيّة اللّغوية ثانوية مقارنة بالتّحدّيات التّقنيّة. من ثمّة كان التّركيز في هذه الدراسة على الجوانب اللّغويّة المصاحبة لعمليّة توطين البرامج الحاسوبيّة من خلال دراسة النسخة العربيّة لبرنامج سكايب (**Skype**) ، حيث أظهرت الدراسة أنّ المقاربة اللّغوية المعتمدة في توطين برنامج سكايب في العربيّة هي مقاربة حرفيّة تركت أثرا سلبيّا على نوعيّة البرنامج في نسخته العربيّة"[9]. وعليه ؛فإنّ بناء عمليّة توطين تثاقفي باللّغة العربيّة للإنتاجات العلميّة والثقافيّة والتّقنيّة والحضارية ليست عمليّة سهلة ، وإنّما هي عمليّة استراتيجيّة نوعيّة يتدخل فيها عنصر الأصالة والإبداع والمساهمة ، وهي عمليّة تعاون للتّخصّصات العلميّة تولي عناية خاصّة للدور اللّغوي في ذلك ، فهي ليست عمليّة نقل حرفي.

وإنّه من الضّرورة بمكان تحديث المنظومة التّعليميّة باللّغة العربيّة بما يتوافق والمعطيات الحداثيّة ، وهذا الأمر يتطلّب التّعاون بين التّخصّصات ، وتحديث تخصّص اللّغة العربيّة وربطه بالمعطيات التّكنولوجيّة ، إنّ وضع اللّغة العربيّة في السيّاق التّكنولوجي هو صلب العمليّة التّحديثيّة وثورة على كل عمليّة تكوين تقليديّة ، فلابدّ من تكوين اللّغوي التّكنولوجي ، أي المورد البشري الذي يحمل طبيعة تكوينيّة ذات خصائص لغوية وتكنوجيّة في آن واحد ، لأنّ سوق العمل يتطلّب لغة حضارية لها سياقها التّكنولوجي ، فلا يمكن للغة تقليدية الخصائص أن تنافس لغة متطوّرة وتكنولوجيّة ، وعليه فإنّ أي عمليّة تثاقفيّة استراتيجيّة تتطلّب تحديث اللّغة العربيّة ووضعها في السيّاق التكنولوجي ، يقول علي القاسمي: "نحتاج إلى باحثين متمرسين في اللّسانيّات الحاسوبيّة. وهذا النّوع من الباحثين غير موجود في بلادنا العربيّة في الوقت الحاضر ، لأنّ أقسام اللّغة العربيّة وشعبها في جامعاتنا مازالت تستخدم مناهج قديمة تدرّس بطرائق قديمة. ولهذا ينبغي تغيّير المناهج والطرائق التدريسيّة وتحديثها"[10]. فيجب ضرورة الانتباه لهذا الإخطار وتحيّين مؤسّسات اللّغة العربيّة بما يتناسب ومعطيات العصر ، فالأزمة في أقسام اللّغة العربيّة هي أزمة تحديث التعليم بما يتناسب والمعطيات التكنولوجيّة.

إنّ مشروع المثاقفة المقاومة الحداثي باللّغة العربيّة يجب أن يكون أصيلا ويخضع لشروط تثاقفيّة أساسها السيّادة الثقافيّة العربيّة ، لأنّ الإنتاجات الحضاريّة للأمّم تتركب في طياتها خصوصيّات فكريّة وفلسفيّة ورؤية حضارية خاصّة للعالم ، فأيّ انخراط تثاقفي دون رؤية سياديّة قيميّة واستراتيجيّة يعتبر تبعيّة تثاقفيّة محسومة لمركزية ثقافيّة مهيمنة كالمركزية الثقافيّة الغربيّة ، وبالتالي تزداد الفجوة التّثاقفيّة باللّغة العربيّة فينتقل المشروع التثاقفي باللّغة العربيّة من المشروع المقاوم إلى المشروع الهامشي والتابع. فكلّ تبعيّة تثاقفيّة باللّغة العربيّة هي إلغاء للخصوصيّة الثقافيّة والفكريّة وللخصوصيّة العربيّة بصفة عامّة.

وفي هذا السياق لا ترد الأصالة كضد للحداثة أو المعاصرة ولا ترتبط بعنصر القدم والتراث ، بل هي مفهوم يعبّر عن التّميّز والإبداع والمشاركة والمساهمة الخاصّة بالدّرجة الأولى ، وهي تمحيص وتحليل للإنتاجات قبل قبولها ، يوضّح عبد الرحمن الحاج صالح هذا الأمر: "فأمّا الأصالة فإنّنا لا نشاطر نظرة الكثير من المثقفين عندما يقابلون هذا المفهوم بالحداثة أو المعاصرة فإنّ الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أيّا كان المقلّد المحتذى به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيّين إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره. فكأنّ هؤلاء المثقّفين بجعلهم الأصالة في مقابل المعاصرة لا يتصورون هذه الأصالة إلاّ بالرجوع إلى القديم فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه ، والأصالة في زماننا هذا وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيّين خاصة "[11]. ويضيف الحاج صالح شارحا الأمر: "وهذا لا يعني أنّ الإنسان مجبر على ابتكار جميع ما عنده. هيهات. فإنّ هذا يستحيل كما يستحيل أن يعيش الإنسان بالاعتماد على ما يصنعه هو وحده أو يرقى به العلم بدون أن يراعي ما ابتكره الآخرون ، والعلم بهذا الاعتبار هو أحوج الأشياء إلى التفاعل والتداخل والأخذ بما يأتي به الآخرون ، إلاّ أنّ الأصالة في هذا الأخذ تكمن في عدم الاطمئنان مقدما وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير حتّى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان بل يجبره على تقبل أقوال غيره. فهذا هو موقف العالم ذي الأصالة وكنا — وما يزال الكثير منا- نقلد القدامى من علمائنا ثمّ جاء منا من يقلّد الآن الغربيّين فاستبدلوا بذلك تقليدا بتقليد"[12]. واستنادا للأصالة ؛فإنّ مثاقفة استراتيجيّة بمفهوم الأصالةهيمعاملة علميّة وثقافيّة وحضاريّة إبداعيّة ... خاصّة بلغة معيّنة أو مجتمع معيّن أو فرد معيّن.

إنّ أيّ مشاركة تثاقفيّة حداثيّة باللّغة العربيّة يجب أن تستطلع بطريقة شاملة واستراتيجية وقيمية بالدرجة الأولى خلفيات الإنتاجات والمشاريع الأجنبيّة المتثاقف معها وتحديد سياقاتها ، حتّى تتمكن من إقامة معاملة علمية وثقافية وحضارية سيادية ومستقلة ، وهذا الشرط من شأنه إضفاء الشرعية على معاملة التثاقف مع الإنتاجات العالميّة. وتعبير عن الأصالة الخاصة باللّغة العربيّة. وبذلك نضمن استمرار التراث والانفتاح على الحداثة بطريقة تناسب السيّاق الحضاري العربي.

4- خاتمة:

يعد سؤال المثاقفة الحداثيّة والسيادة اللّغوية باللّغة العربيّة من الأسئلة التّي تتميز بالمسؤوليّة العلميّة والثقافيّة والحضارية ، فهو من الأسئلة الخطيرة التّي تتضمّن حماية لغة الأمّة العربيّة من الانزلاق الحضاري ، فكل سؤال يحمل في طياته تحدّيات علميّة وثقافيّة وسياديّة وتاريخيّة واستراتيجيّة وقيمية وحضارية ، فوقائع المثاقفة مسؤولية جمعية عربيّة ، ومسؤولية ذهنيّة يتطلب هضم قيمتها المفهوميّة وتمثيلها في المجتمع ، فهي ليست مسؤوليّة عزلاء ومشتّتة بل مسؤوليّة تنسيقيّة مؤسّساتيّة بالدّرجة الأولى ، وإزاء ذلك يمكن طرح جملة من النتائج التّي تضبط هذا المفهوم:

- السيادة اللّغويّة من الناحيّة النّظرية هي طاقة جمعيّة لغويّة مستمرّة بين أجيال الأمة لصناعة الزعامة والشرف والاستقلال اللّغوي للأمة وفق ثوابتها. وإذا أردناها من ناحية وظيفيّة هي سلطة لممارسة الاستقلال اللّغوي للأمة وحمايته وإكماله بالتصحيح العملي.
- الوطن اللّغويهو بيت وجود الأمة ، بما هو اللّغة العلميّة والثقافيّة والقيمية والحضارية التي نسكنها.
- الاستقلال اللّغوي يشمل التحرّر والانفراد بتسيّير شؤون اللّغة وتدبيرها فلا نفوذ وهيمنة للغة أمة على لغة أمة أخرى.
- بناء العمليّة السيادية اللّغوية هي غاية حقوقيّة وثقافية وحضارية واجبة ، فلابد لأي لغة أن تنال حقّها الوطني الطبيعي في السلطة والنفوذ والاستقلال والأمن والتنمية...

- المشاركة التثاقفية الحداثية باللّغة العربيّة يجب أن تستطلع بطريقة شاملة واستراتيجية وقيمية بالدرجة الأولى خلفيات الإنتاجات والمشاريع الأجنبيّة المتثاقف معها وتحديد سياقتها، حتّى تتمكن من إقامة معاملة علمية وثقافية وحضارية سيادية ومستقلة.
- مشروع المثاقفة المقاومة الحداثي باللّغة العربيّة يجب أن يكون أصيلا ويخضع لشروط تثاقفية أساسها السيادة الثقافيّة العربيّة، لأنّ الإنتاجات الحضارية للأمّم تتركب في طياتها خصوصيات فكريّة وفلسفية ورؤية حضارية خاصة للعالم، فأيّ انخراط تثاقفي دون رؤية سيادية قيميّة واستراتيجية يعتبر تبعيّة تثاقفيّة محسومة لمركزية ثقافيّة مهيمنة كالمركزية الثقافيّة الغربيّة.

إنّ هاته المبادئ اللّغوية السيادية يمكن أن تضبط وتحصر مفهوم المثاقفة والسيادة اللّغوية وتربطهما ببعضهما البعض وتضعهما في السيّاق الاستراتيجي المفهومي للغة الأمّة العربيّة كالآتي:

- **المثاقفة بمفهوم السيادة:** قرار اختياري طوعيّ أساسه التوافق مع مبادئ وثوابت وقيّم الأمة لإجراء معاملة علميّة وثقافيّة وحضارية؛ وذلك بعد عمليات التقيّيم العلميّة والثقافية والاستراتيجية للأمة.
- **المثاقفة السيادية باللّغة العربية أو مثاقفة الأمة العربية:** هي إقامة معاملات علميّة وثقافيّة وحضارية واستراتيجية شاملة باللّغة العربية شرطها الأصالة لغرض التنميّة الشاملة مع المحافظة على القيم العربيّة الإسلاميّة والثوابت السيادية للأمة العربيّة.
- **المثاقفة المقاومة باللّغة العربيّة:** عمليّة حضارية استراتيجية خاصة باللّغة العربيّة لمقاومة الهيمنة الحداثية علميّا وثقافيّا وحضاريّا وذلك لغرض تحقيق النديّة في الاستقلال العلمي والثقافي والحضاري بلغة الأمة العربيّة.

6- مصادر البحث ومراجعه:

[1]- مجمع اللّغة العربيّة بالشارقة ، المعجم التاريخي للغة العربيّة:

https://www.almojam.org/root?id=25687&wordId=151259

[2] - مجمع اللّغة العربيّة بالشارقة ، المعجم التاريخي للغة العربيّة:

https://www.almojam.org/root?id=3268&wordId=20025

[3] - ديتر غريم ، السيادة كمفهوم قانوني وسياسي- الجذور والمستقبل- ، تر: عومرية سلطاني ، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ،ص 51

[4] - ديتر غريم ، السيادة كمفهوم قانوني وسياسي- الجذور والمستقبل- ، تر: عومرية سلطاني ، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان. ص 132.

[5]- علي القاسمي ، علم المصطلح أسّسه النظرية وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 2 ، بيروت ، 2019 ،ص 734.

[6]- علي القاسمي ، علم المصطلح أسّسه النظرية وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 2 ، بيروت ، 2019 ،ص 736.

[7]- علي القاسمي ، علم المصطلح أسّسه النظرية وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 2 ، بيروت ، 2019 ،ص736/737.

[8]- علي القاسمي ، علم المصطلح أسّسه النظرية وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 2 ، بيروت ، 2019 ،ص737.

[9]- LahousseineId-youss&AbiedAlsulaiman.

"Linguisticinferiorityinsoftwarelocalization" in:Abied Alsulaiman&AhmedAllaithy.

Handbook of Terminology (Amsterdam/Philadelphia: Benjamins

PublishingCompany,2019)Vol.2,pp.217.

نقلا عن: علي القاسمي ، علم المصطلح أسّسه النظرية وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 2 ، بيروت ، 2019 ،ص 737.

[10]- علي القاسمي ، علم المصطلح أسّسه النظرية وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 2 ، بيروت ، 2019 ،ص 739.

[11]- عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة ، موفم للنشر ،الجزائر ،2012 ، ج1 ، ص11.

[12]- عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة ، موفم للنشر ،الجزائر ،2012 ، ج1 ، ص12.